

NÛRU'L-ENVÂR FÎ ŞERHÎ'L-MENÂR Lİ'Ş-ŞEYH MOLLA CÎVEN (DİRÂSETUN, VASFİYETUN, NAKTİYETUN)

Mahmoud Naassan¹

Öz

Kitabın Müellifi, Ahmed b. Ebî Sa'îd b. Ubeydillah b. Abdirezâk el-Mekkî es-Sâlihî el-Leknevî ed-Dihlî el-Emîtevî el-Hindî el-Hanefîdir. (v. 1130 h.) Nûru'l-Envâr, el-Menâr adlı kitabın en meşhur ve en faydalı şerhlerinden biri sayılmaktadır. Zira bu kitabın şarihi Molla Cîven, zor olmayan ve sözü fazla uzatmayan mutedil bir metot izlemiştir. El-Menâra dair yapılan şerhleri özetleyerek asıl kaynaklarının özünü biraraya getirmiştir. Kitabın bölüm ve konularını net bir düşünce şeklinde ortaya koymuştur. Böylece bu kitap el-Menâr şerhleri arasında son dönem usûl âlimleri nezdinde de yüksek bir makama ve yüce bir dereceye nail olmuştur. Nûru'l-Envâr, Hindistan yarımadasında yapılan şerhler içerisinde ve dini medreselerinde itimat edilen kitapların en önemli olanıdır. Öyleki ilim merkezlerinde halen bu kitap okutulmaktadır.

Şeyh Molla Cîven'in bu şerhte usûl ilmi ve kurallarının şerhini, ihtilaflı konularının arzını, delillerinin zikrini, çekişmelerin çıkış noktalarının belirlenmesini, âlimlerin bu konudaki tartışmalarını, önemli gördüğü farklı mezhep ve görüşlerini, usûl ve fıkıh imamları arasındaki tartışmalarının neticesini izhar etme gibi önemli bir rol üstlenmektedir.

Şeyh Molla Cîven'i bu şerhte asli ilmi kaynaklara dayanmaktadır. Öyleki bu muteber kaynakların en bariz olanlarından; "Pezdevî'nin Usûlu, İbn Melik'in Şerhu'l-Menârî, Mahubî'nin et-Tevdîhalâ't-Tenkîhi, Serahsî'nin Usûlu ve Taftâzânî'nin et-Telvîhalâ't-Tavdîhi" gibi kitaplar, ifrat, tefrit ve gereğinden kısa veya uzatmala rarasında birbirinden farklı rivayetler şeklindeydi.

Molla Cîven'in bu şerhin özelliklerine taalluk eden bazı olumlu ve olumsuz mülahazalar bulunmaktadır. Şöyle ki bu kitapta Molla Cîven'in ilmi şahsiyeti, usûlcülüğü, konulara objektif yaklaşımı muhaliflerine karşı tarafsız kalma, Furu' fikhına verdiği önem, diyalog şeklindeki üslubu, bu ilimdeki hâkimiyeti, konulardaki dikkat çekici tertibi ve düzeni, asıl konuları kapsayıcılığı gibi özellikleri ortaya çıkmıştır. Bunun yanında yazarın Arapça dil grameri ile ilgili bazı hataları ve görüş sahiplerine yaptığı atıflarda gerektiği gibi dikkat etmemesi mülahaza edilen önemli olumsuzluklardandır.

Bu kitap şerhinin önemine binaen bu makaleyi el aldık. Böylece mezkûr kitabın ilmi yönü ve Hindistan yarımadasının en önemli şerhedilen kitaplardan sayılan bu şerhin yazarının ilmi olan katkılarının keşf edilmesini ümit ederiz.

THE BOOK OF MOLLA CİVEN NAMED NÛRU'L-ENVÂR FÎ ŞERHİ'L-MENÂR

ABSTRACT

The author of the book is Ahmad b. Abi Sa'id b. Ubeydillah b. Abdirrezâk al-Makkî al-Sâlihî al-Leknawî al-Dhâi al-Emîtawî al-Hindî al-Hanafî (hijri 1130).

Nûru'l-envâr is counted one of most famous and most useful commentary of el-Menâr. Because Mullah Cîven who is explanatory of this book followed an easy and short method. He brought together the the essence of original sources, by summarizing the explanations of el-Menâr. Revealed sections and topics of the book in the form of a clear thought. So this book has reached a high level among scholars of method of last century.

Nûru'l-Envâr is the most important of the books that are trusted inside commentaries which made at İndia peninsula and inside religious schools. So this book is still being taught in the centers of science.

Sheikh Mullah Civen reveals in this book explanation of method knowledge and its rules, presentation of controversial issues, expression of evidences, determination of the exit point of conflicts, discussions of scholars on this subject, different denominations and opinions which he seen them differently and the results of discussions between Islamic law and method scholars.

Sheikh Mullah Cîven based on main sources of knowledge in the this commentary. So that the most prominent of favorite sources like Pezdevî's Usûl, İbn Melik's Şerhu'l-Menâr, Mahbûbî's Tevdîhala't-Tenkîh, Serahsî's Usûl and Taftazânî's et-Telvîhala't-Tavdîhgave narrations which different from each other in terms of extension or abbreviation.

Mullah Cîven's commentary has positive and negative features. Namely, his scientific personality, Methodism of him, Its objective approach to topics, neutrality of him against the opposition, his style like dialogue, his remarkable layout etc. are positive features. But his mistakes about Arabic grammar and carelessness of him in references are negative features.

For importan of this book we wrote this article about it. So we hope to be discovered the scientific direction of this book and its author's contributions in science.

مختصر المقالة

نور الأنوار هو لأحمد بن أبي سعيد بن عبيد الله بن عبد الرزاق ، المكي الصالحي ، اللكنويالذّهلي الأمتّهوي، الهندي الحنفي : (ت 1130هـ)

وشرح نور الأنوار يُعدّ من أهم شروح المنار، وأعظمها فائدة ؛ إذ سلك فيه شارحه المنهج المعتدل لم يكن مغلقاً معقداً ، ولا منفتحاً مبسطاً ، وقد جمع فيه عصارة شروح المنار وزبدة مصادرها الأصلية، وقدم فيه فكرة واضحة عن أبوابه ومسائله وبه نال المكانة السامية والدرجة العالية عند علماء الأصول في العصور المتأخرة ولا سيما من بين شروح المنار وحواشيه. ويعتبرنور الانوار من الشروح المهمة في شبه القارة الهندية والكتب المعتمدة في مدارسها الدينية ، وما زال تدريسه قائماً في مراكزها العلمية.

ولقد كان للشيخ ملا جيون دور كبير في إثراء مادة الأصول وشرح قواعدها، وعرض المسائل الخلافية وذكر أدلتها ، وتحرير محل النزاع واختلاف العلماء فيها من خلال هذا الشرح وذلك لاهتمامه بالمذاهب المختلفة والأقوال المتباينة وتحرير المسائل ، وبيان محل النزاع واطهار ثمره الخلاف بين الأئمة الأصوليين والفقهاء، وربط المتن بالشرح مع بيان رأيه في المسائل المحرّرة.

وقداعتمد الشارح في شرحه على مجموعة من المصادر العلمية الأصلية، وكانت هذه المصادر المعتمدة متفاوتة النقولات بين إفراط وتفريط وإيجاز وإسهاب، ومن أبرزها : أصول اليزدوي لفخر الإسلام اليزدوي ، وشرح المنار لابن ملك ، والتوضيح على التنقيح لصدر الشريعة المحبوبي ، وأصول السرخسي للسرخسي ، والتلويح على التوضيح للنتقازاني ، وكشف الأسرار على المنار لأبي البركات النسفي ، هذا وقد لوحظ عليه مجموعة من الملاحظات بعضها يتعلق بتمييزاته ، وبعضها الآخر يتعلق بعيوبه أما المميزات التي يتمتع بها هذا الكتاب فهي :

- ظهور شخصية الشيخ ملا جيون العلمية. - تمهيده للكتاب بمقدمة أصولية - موضوعية الشيخ ملا جيون وحيادته لمخالفه. - شمولية الكتاب. - اعتناؤه بالفروع الفقهية. - أسلوبه الحوارية وقدرته العلمية عليه. - حسن ترتيبه وتنسيق أبوابه. - اشتماله على مباحث أصيلة.

أما الأمور التي أخذت عليه، فهي ملاحظات لغوية أو نحوية، وملاحظات أسلوبية ومنهجية ، كالنقل بلا تصريح وعدم الدقة في نسبة الآراء إلى أصحابها وغير ذلك.

على الرغم من تأثر الشيخ ملاجیون الواضح بطائفة من الكتب الأصولية ومؤلفيها إلا أن آراءه وترجيحاته في الكتاب كانت واضحة، وشخصيته العلمية كانت بارزة وقدرته الفكرية كانت جلية في كثير من القضايا الأصولية والفقهية والمواقف الاجتهادية ، كما كان لأسلوبه الحوارى ونقاشه العلمى وتقديره للاختلاف بين الائمة أثر بارز فى شرحه.

ونظراً لأهمية هذا الشرح جاءت هذه المقالة لعلها تكشف بعضاً من الجوانب العلمية للكتاب وتبرز دور مؤلفه الذى يعد من أشهر شراحه فى شبه القارة الهندية. وبالله توفيقى وعليه اعتمادي وهو حسبي ونعم الوكيل .

كتاب نور الأنوار فى شرح المنار فى أصول الفقه الحنفى للشيخ ملاجیون⁽¹⁾

(دراسة وصفية نقدية)

المقدمة :

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد - صلى الله عليه وسلم - القائل : ((من یرد الله به خيراً يفقهه فى الدين))⁽²⁾ ، وعلى آله نجوم الدجى ، وصحبه الغر الميامين ، وسلم تسليماً كثيراً إلى يوم الدين.

أما بعد : لما كانت لعلم الأصول هذه الأهمية البالغة ، والمكانة البارزة من بين العلوم الإنسانية قيض الله له علماء فضلاء ، وصلحاء أجلاء قاموا بشرح الإجماليات ، وتبسيط الكليات ، وحلّ المعقدات ، وتوضيح المبهمات وتفسير المشكلات ، واهتموا به شرحاً وتالياً ، واعتنوا به نظاماً وتعليقاً ، وتفرغوا له تبسيطاً وتطويراً ، وتفرغوا لتأصيله .

ونتيجة لهذا الاهتمام البالغ بهذا الفن والاعتكاف عليه والملازمة له ظهرت فى مختلف العصور مصنفات فيه اتخذت أشكالاً متباينة فى اتجاهاتها ، ومتعددة فى طرائقها ، ومختلفة فى آرائها ومذاهبها .

فبعضها حذا الإيجاز حتى أدى إلى حدّ الألباس والغموض فاحتاجت إلى شروح توضّح معانيها، وتكشف خفاءها ، وتبين مراد مؤلفيها ، وتلك الشروح أيضاً افتقرت إلى حواشٍ وتعليقات تزيد إيضاحها ، وتصحح عباراتها ، وتفسر طرق دلالاتها ، ثم وضعت عليها تقييدات وتقريرات تضيف إلى الموضوع إيضاحاً وتزيده بياناً حتى عدّت تلك المؤلفات بأنواعها المتعددة وبمذاهبها المختلفة واضحة المراد ، قريبة الفهم ، سريعة الإدراك لكل من يريد فهمها ويتعلق به أمرها.

¹ - هذه المقالة فى أصلها أُعدت مقدمة لكتاب نور الأنوار فى شرح المنار / لملاجیون ، وذلك لما قمّت بتحقيق الكتاب المذكور ودراسته لنيل درجة الدكتوراه فى أصول الفقه الإسلامى من معهد الدعوة الجامعى عام /2010م / فى لبنان (ولم ينشر الكتاب بعد) . وهذه المقالة جاءت تلخيصاً لتلك المقدمة مع تغييراتٍ فى بعض الموضوعات واعتباراتٍ فى الأساليب دراسةً ونقداً وتحليلاً واستنباطاً .

² - المسند / لأحمد بن حنبل 241/3 عن ابن عباس .

وكان من أولئك الذين أسهموا في كتابة علم الأصول وتقييد قواعده وتقرير مسائله في أوائل القرن الثامن الهجري عالم يدعى بالنسقي حافظ الدين أبي البركات (ت 710هـ)، كان عظيم الفضل، واسع الاطلاع، غزير العلم، شديد الذكاء، واسع الأفق، فقد صنّف في هذا المجال كتاباً صغير الحجم وجيز اللفظ، جمّ المعاني، دقيق العبارة، عميق الدلالة مسمياً ب: المنار في الأصول // وما أن فرغ منه حتى وجد إقبالاً شديداً، وقبولاً مستساغاً لدى نويه، بحسن القراءة، ودقة المتابعة، وبشدة التفحص ظهرت آثارها في أقلام كثير من الشراح وأصحاب المختصرات والحواشي، دراسة وبحثاً، وقراءة وتوجيهاً، وتحليلاً واستنباطاً، وفقهاً واجتهاداً.

وكان من أبرز هؤلاء الشراح الذين كانت لهم اليد المشرقة، والخبرة الواسعة بالشرح والتعليق، والتأويل والتفريع في القرن الثاني عشر الهجري عالم من كبار علماء الهند، ونابع من أجل رموزها بالدعوة والإصلاح والوعظ والإرشاد والبحث والتدريس، وهو الشيخ أحمد المعروف بملا جيون (ت 1130هـ)؛ حيث استدرك ما فات المصنف من مسائل، وحقق فيه ما سبقه من دلائل مما جعل الكتاب مميزاً في أسلوبه، طريفاً في منهجه، موفقاً في عرضه، بديعاً في مفرداته مختاراً له اسم: (نور الأنوار في شرح المنار).

هذا البحث كان شاملاً للمباحث الأصولية، ومستغرقاً لجزئياتها، ومفصلاً لقضاياها اتسم بتعليقات مفيدة، وشروح دقيقة، واجتهادات وجيهة.

وبهذا الجهد المبذول، والشرح المقبول قد أضاف الشيخ ملا جيون إلى مكتبة العالم الإسلامي العامة ثروة عظيمة ومادة علمية جلية، كما أضاف إليها غيره من علماء الهند التي أنجبت علماء يندر نظيرهم في صفاء الذهن، وخصوبة الفكر، وكثرة التأليف، والإنتاج المعرفي والابتكار العلمي، كما أنجبت رجالاً شهد لهم علماء العرب بالفضل والإبداع الذين ما زالوا عاكفين على كتبهم ومؤلفاتهم ينقلون منها ويقتبسون، ويستدلون بها ويحتجون.

وانطلاقاً من هذه الثقافة الإسلامية، ورغبة في تحقيقها، وحباً في الاطلاع عليها جاءت كتابة هذه المقالة، وهي تتألف من الفقرات التالية:

- مؤلف الكتاب

- عنوان الكتاب ونسبته إلى الشيخ ملا جيون

- شرح ملا جيون ومنهجه فيه

- مصادر ملا جيون

- مزايا الكتاب وعيوبه

- آراء ملا جيون وترجيحاته في الكتاب

- مصطلحات ملا جِيُونُ في الكتاب

أولاً - مؤلف الكتاب :

هو الشيخ أحمد بن أبي سعيد بن عبيد الله⁽¹⁾ بن عبد الرزاق ، المكي الصالحي ، اللكنوي ، الدّهلي ، الأميتهوي⁽²⁾ ، الهندي الحنفي ، المعروف بـ: ملا جِيُونُ وبه اُشتهر لدى العلماء.

¹- كذا حرره الشيخ أحمد ملا جِيُونُ في كتابه: // مناقب الأولياء // فقال: // وهذبتُ مصنفات جدي عبيد الله وصنوه علم الله // ينظر : الإعلام / عبد الحي الحسني 691/2.

// نور الأنوار في شرح المنار // ص 1410/ إذ صرّح به في الخاتمة بقوله : // يقول العبد المفتقر إلى الله الغني الشيخ أحمد ، المدعو بـ : // شيخ جِيُونُ // ابن أبي سعيد بن عبيد الله بن عبد الرزاق ، خاصّة خُدا ، الحنفي ، المكي الصالحي ، ثم الهندي اللكنهوي ..//.

وهو ما أكده مؤرخ الهند عبد الحي الحسني في الإعلام 691/2 لدى ترجمته له ولجميع أسرته . وجاء في تفسير ملا جيون المسمّى بـ : // التفسيرات الأحمديّة // ص 502 بأن اسم جده // عبد الله // ، وتبعه في هذا بروكلمان في كتابه تاريخ الأدب العربي 248/9 ، وهدية العارفين 170/5 ، ومعجم المطبوعات العربية 1164/2 ، وعمر رضا كحالة في معجم المؤلفين 233/1 ، ومحمد ياسين مظهر صديقي ، تحرير قاسم السامرائي في فهرس المخطوطات العربية بجامعة عليكرة الإسلامية بالهند ص 147 عندما تحدث عن نسخة مخطوطة للتفسير المذكور ، وكانت مصادره المعتمدة في التعريف بملا جيون تاريخ بروكلمان ومعجم المؤلفين لكحالة ، ونزهة الخواطر لعبد الحي الحسني . وما أراه راجحاً أن اسم جده // عبيد الله // كما ذكره حفيده الشيخ أحمد في كتابيه المذكورين وأثبتته بهذا اللفظ ، ومن ثمة فترجح ما ورد في الكتابين على ما ورد في الواحد ، وهو قول معظم المترجمين له . وكما أن مؤرخ الهند الكبير عبد الحي الحسني قد ضبطه كضبط ملا جيون ، وهو أوفر حظاً وأكثر شهرةً في هذا المجال من غيره ؛ لكونه صاحب كتاب تراجم علماء الهند وطالما علماء الهند يقتضي علمه من مثله الدقة في الموضوع والتقصي في البحث ، ولكونه أصق صلةً به ، وأقرب عهداً منه .

وأما ما ورد في //التفسيرات الأحمديّة // وماساقه بروكلمان ، وعمر رضا كحالة، ومحمد ياسين ومن وافقهم تبعاً لما ورد فيه ، فلا يخلو من ثلاثة أمور :

أ- إما أن يكون لجد الشيخ أحمد اسمان فيعرف بكليهما ، وما ذكره ملا جيون في الكتابين هو أكثر استعمالاً وأوسع شهرةً .
ب - وإما خطأ مطبعي - وهو ليس ببعيد عن دورنا العلمية للنشر - قد وقع في التفسير فتبعه الآخرون ونقلوه دون تمحيص أو تدقيق .

ت - وإما غفلة من بروكلمان ومن وافقه فزلّ بها القلم وضل بها الصواب ؛ حيث أخطأوا في الحكم وسهوا في الترجمة .
²- وذكره بروكلمان في تاريخ الأدب العربي 248/9 بلفظ : // الأميطاوي // فلم أجد من ذكر دونه من المترجمين له ، كما أنني لا أجد محلاً لما صرح به بروكلمان في المصدر السابق - قانلاً وهو معرف به - //المالكي الأميطاوي // . وهذا مستبعد بأن الشيخ أحمد كان مالكيّاً ثم تقلد مذهب الحنفيّة ، والأقرب إلى الصواب أن تحريفاً قد وقع فيه فاستبدل المكي بالمالكي .

هذا وقد نصّ عمر رضا كحالة في معجم المؤلفين 233/1 بنسب آخر له وإضافته إليه بقوله : // الصالحي الجونفري الصديقي ..// .

وبعد البحث والمتابعة لم يتضح لي بأن أحد المترجمين لحياته والمتحدثين عن سيرته ذكر نسبة // الجونفري // سوى عمر رضا كحالة .

وكما لم يظهر لي بعد العمل الدؤوب وتقصي الحقائق - أن أحدهم قد ذكر نسبة // الصديقي //

كان ملاً جَيُونُ فقيهاً بارعاً، وصوفياً زاهداً، وأصولياً متمكناً، ومفسراً مبدعاً، وشاعراً صوفياً ماهراً، وكان إلى جانب إخلاصه موهوب العقل، قوي الذاكرة شديد الملاحظة ، طيب النفس حسن المعاشرة.

ولد الشيخ ملاً جَيُونُ عام/1047هـ/ ببلدة ((أميتهي)) وتوفي سنة /1130هـ/ في مدينة دهلي بعد أن ترك للمكتبة العربية الإسلامية مصنفات جليلة وكتباً قيمة في التفسير والأصول والشعر الصوفي والتراجم وغيرها، وكان من أشهر تلك الآثار العلمية : نور الأنوار في شرح المنار في أصول الفقه الحنفي، والتفسيرات الأحمدية في بيان الآيات الشرعية ، وهو كتاب في تفسير آيات الأحكام، ومناقب الأولياء في أخبار المشايخ ، وآداب أحمددي في السير والسلوك، والسوائح ، وديوان في الشعر الصوفي ، والمثنوي المعنوي⁽¹⁾.

ثانياً - عنوان الكتاب ونسبته إليه :

لم يضع الشيخ أحمد ملاً جَيُونُ عنواناً بارزاً لكتابه، كما يفعله المصنفون في أوائل كتبهم، ولم يجعل صفة مستقلة له كما يفعله المحققون، بل جاء اسمه ممزوجاً في مقدمة الكتاب فقال فيها الشارح: // وبعد: فلما كان كتاب: //المنار// أوجز كتب الأصول متناً وعبارةً، وأشملها نكتاً ودراية ولم يشتغل بحلّه أحد من الشراح.... فشرعت في إسعاف مأمولهم، وإنجاح مسؤولهم على حساب ما كان مستحضراً لي في الحال من غير توجه إلى ما قيل أو يقال، وسميته بكتاب: //نور الأنوار في شرح المنار//⁽²⁾.

غير عمر رضا كحالة ، ومحمد بركات والقنوجي ، وإسماعيل باشا البغدادي ، وما ورد في صفحة عنوان : قمر الأقمار على نور الأنوار / لمحمد عبد الحلیم اللكنوي.

وما أراه هنا:

- أن عمر رضا كحالة قد سها في هذا العزو ، فنسبه إليه ما لا ينسب.

- وأن محمد بركات المعنتي بإخراج إفاضة الأنوار ص 15 قد غلط في هذه النسبة كما غلط فيها الأول.

وأما ما ورد في الصفحة الأولى من عنوان : // قمر الأقمار// فما هو إلا من وضع النساخ وفعلهم ، فظن فيما بعد نسبة ملا جيون.

وفضلاً عن هذا كله لو كانت هذه النسب صحيحة لما غفل عنها الشارح ؛ فإنه قد عرف نفسه بنفسه في مؤلفاته مراراً ولم يذكرها ، فكيف تغيب عنه وهو المترجم والمترجم له في الوقت نفسه؟.

ثم لو كانت الدعوى كما هي ، لكان مؤرخ الهند عبد الحي الحسني أولى بذكرها وقد بذل جهداً لا ينكر في القضية نفسها ؛ إذن فكيف يسوغ له النسيان أو التناسي عن هذه الأمور الدقيقة في تراجم الرجال؟.

¹⁻ وللوقوف على ترجمته ينظر: التفسيرات الأحمدية ص 502، والإعلام / لعبد الحي الحسني 691/2، و تاريخ الأدب العربي /البروكلمان 248/9، و معجم المؤلفين 233/1، وأبجد العلوم 237/3، وهديّة العارفين 170/5، و معجم المطبوعات العربية والمعربة 1164/2.

²⁻ نور الأنوار في شرح المنار ص 137-138.

وهكذا ذكره أيضاً كل من تعرض لترجمة الشيخ أحمد، وتحدث عن آثاره وساقها⁽¹⁾، غير أن بعض المترجمين له ذكروه اختصاراً بلفظ://نور الأنوار//، كبركلمان⁽²⁾ وأبي الحسن الندوي⁽³⁾، وعبد الحى الحسني⁽⁴⁾.

وأما نسبه إلى الشيخ ملا جيون، فيمكننا أن نستدل على صحتها بمايلي:

أ- ما نطق المؤلف في مقدمة كتابه بقوله:// فشرعت في إسعاف مأمولهم، وإنجاح مسؤولهم على حساب ما كان مستحضراً لي في الحال من غير توجه إلى ما قيل أو يقال، وسميته بكتاب:// نور الأنوار في شرح المنار//⁽⁵⁾، فإنه نص جلي وعزو صريح بنسبة الكتاب إلى نفسه.

ب - ما نص عليه في خاتمة الكتاب المذكور بقوله:// يقول العبد المفتقر إلى الله الغنيالشيخ أحمد، المدعو ب: الشيخ جيون ابن سعيد بن عبيد الله بن عبد الرزاق، خاصّة خُدا الحنفي المكي الصالح، ثم الهندي اللكنوي: قد فرغت من تسويد:// نور الأنوار في شرح المنار//⁽⁶⁾.

ج - أجمع المترجمون على نسبة الكتاب إليه وإثباته له، وذكره في قائمة آثاره العلمية⁽⁷⁾ مما لا يترك للشك مجالاً، أو التردد في مصداقيته مكاناً في عزوه إليه، وبأنه من أهم مؤلفاته التي تركها للمكتبة الإسلامية.

ثالثاً - شرح ملا جيون ومنهجه فيه:

شرح ملا جيون: هذا الشرح يُعدّ من أهم شروح المنار، وأعظمها فائدة، وأكملها نفعاً؛ إذ سلك فيه شارحه المنهج المعتدل؛ لم يكن مغلقاً معقداً، ولا مفتوحاً مبسطاً؛ ولم يكن بالطويل الممل ولا بالموجز المخل، خلافاً لما كان عليه بعض الشراح في شروحهم، كما قال الشيخ ملا جيون في شرحه:// فإن بعض الشروح مختصرة مخلة بفهم المطالب، وبعضها مطولة مملّة في درك المآرب//⁽⁸⁾.

ولقد كان هذا الشرح شاملاً جمع فيه شارحه عصاره شروح المنار وزبدة مصادرها الأصلية من الأصول - على الرغم من تطبعه بطابع الاختصار والإيجاز في القواعد والسهولة والتنقيح في المباحث بشكل عام - وقدم فيه فكرة واضحة وصورة مشرقة عن أبوابه ومسائله، فاستحق بذلك المكانة السامية

¹- ينظر: الإعلام /لعبد الحى الحسني 11/1، 691/2- 692، والثقافة الإسلامية في الهند ص 11، ومعجم المؤلفين 233/1-134.

²- ينظر: تاريخ الأدب العربي 187/7، 248/9.

³- ينظر: المسلمون في الهند ص 104-110، ورجال الفكر والدعوة 434/4.

⁴- ينظر: الثقافة الإسلامية في الهند ص 16.

⁵- نور الأنوار في شرح المنار ص /138/.

⁶- نور الأنوار في شرح المنار ص /1370/.

⁷- ينظر: قائمة المصادر الواردة في ترجمته .

⁸- نور الأنوار في شرح المنار ص /137-138/.

عند علماء الأصول والدرجة العالية من القبول، ونال قصب السبق من بين مصنفات الأصول في العصور المتأخرة - لاسيما شروح المنار وحواشيه - والإقبال الشديد من الجمهور.

ويعتبر هذا الشرح من الشروح المهمة في شبهالقارة الهندية، فكان يُدرّس في المعاهد الشرعية، والمراكز العلمية، والزوايا الصوفية⁽¹⁾، وقد أخذ في الهند مجده، وتبوأ فيها مكانته؛ إذ انكب عليه العلماء واعتمد عليه التلاميذ والفقهاء ودرسوه وتلقوه بالقبول، وقد تحدث لنا عبد الحي الحسني كبير المؤرخين في الهند وأحد أعلامهم عن أهمية هذا الكتاب ودوره في سائر الأوساط العلمية، وجعله من الكتب المعتمدة في الهند والمقررة في المدارس الدينية، فقال - وهو يتحدث عن الطبقة الرابعة -: // وفي كلّ قرن من القرون الماضية زاد الناس أشياء حتى جاء الشيخ نظام الدين السهالوي وأحدث في دروس الهند نظاماً جديداً تلقاه الناس بالقبول ولم ينقص إلى الآن منه شيء، أما الصرف ... وفي أصول الفقه: نور الأنوار...//⁽²⁾.

ولقد كان للشيخ أحمد ملاً جيّونَ دور كبير في إثراء مادة الأصول وشرح قواعدها، وعرض المسائل الخلافية وذكر أدلتها، وتحرير محل النزاع واختلاف العلماء فيها، وذلك بفضل أسلوبه الواضح وعباراته السهلة وصياغته الحسنة وطريقته البديعة، فبإمكان القارئ - بشكل عام - فهم معظم موضوعاته ومسائله دون الرجوع إلى شرح يوضّحه، أو حاشية تفسّره وإن كان - أحياناً - لا يخلو من بعض الغموض في الفهم والإشكال في العبارة كما عبر عن ذلك صديق حسن القنوجي بقوله: // وفيه الرطب واليابس//⁽³⁾.

منهجه فيه: مهّد الشيخ أحمد كتابه بمقدمة علمية بيّن فيها الأسباب التي دعت إلى شرحه، ثم قام بشرح وافٍ للمقدمة؛ حيث تناول فيها مجموعة من المصطلحات الأصولية والعلمية وبيّن معانيها دون أن يتعرض للمسائل الخلافية، ثم شرع في ذكر المتن والشرح ممزوجاً مجملاً، ثم عقبه مفصلاً، ذاكراً في معظم المسائل التعريف لغة أولاً فاصطلاحاً ثانياً.

وكان الشيخ ملاً جيّونَ يهتم بعرض المذاهب المختلفة والأقوال المتباينة في المسألة الواحدة، سواء كانت في الأصول أو في الفقه، مصرحاً تارةً بأسماء قائلها ومذاهبها، ومكتفياً تارةً أخرى بقوله: قال بعضهم، أو قيل كذا، أو قال قوم ... وبعد عرضه لهذه الآراء يبدأ بذكر أدلتها وحججها مع المناقشة، ثم يرحّج ويختار من الأقوال ما يراه سليماً من الإيرادات، بعيداً عن الاحتمالات.

وكان من منهجه عنايته الفائقة بتحرير المسائل، وبيان محل النزاع، وإظهار ثمرة الخلاف بين الأئمة الأصوليين والفقهاء، وحرصه الشديد على ربط الشرح بالمتن مع بيان رأي المصنّف في المسألة موافقاً له - وهو الغالب - أم مخالفاً مع التقيّد بشرح الكتاب والالتزام بأرائه، مبرزاً ذلك كله بوضع

¹ - وما زال تدريسه قائماً في المدارس الدينية والمعاهد الشرعية في شبه القارة الهندية حتى الساعة، كما أخبرني بذلك أبنائها ومؤلفاتها.

² - الثقافة الإسلامية في الهند ص 16.

³ - أجد العلوم 238/3.

عناوين له، كباب الأمر - مثلاً، أو النهي، أو فصل في التعارض، أو شرع من قبلنا ونحو ذلك، وهذه العناوين وإن لم تكن مقررّة وكافية لدى الشارح وفق ما يقتضيه البحث العلمي، إلا أنها قد احتلت في الشرح مكانة بارزة وألبست الكتاب صفة مميزة فانفتحت به أمام القارئ آفاق واسعة وطرق متعددة لمعرفة أبواب الكتاب وفصوله، وومسائله وحدوده.

ومن أسلوبه - رحمه الله - أنه كان يثري شرحه بذكر النصوص من الكتاب والسنة وبالإجماع والمعقول، ويؤيده بالأقيسة المنطقية وقواعد البحث والمناظرة، مستعيناً في الوقت نفسه بالكتب الأصولية وقواعدها المشهورة والمعتمدة، وكما كان يستشهد بالأمثلة النحوية، والشواهد الشعرية، والأمثال، والمسائل الفقهية المستنبطة من تلك القواعد الشرعية وأدلتها الإجمالية.

وبما أن شرحه قد تميز بالفروع الفقهية واكتظ بمسائلها، فكان يجنح إلى الاختصار في كالمسألة فرعية مطوّلة، ويكتفي بالإحالة إلى مطولاتها والاختصار على مبسوطاتها - إن أراد القارئ التوسع فيها- ، ولاسيما مؤلفاته كالتفسيرات الأحمدية، منبهاً إلى وجود اختلاف في نسخ المنار المعتمدة بزيادة أو نقصان - إن وجد - سواء أكان هذا الاختلاف متعلقاً بمسألة أصولية أو فقهية، أم نحوية أو كلامية.

ولم يترك تلك الإضافات الواردة في بعض النسخ للمنار كما هي ويسلم بها دون انتقاد أو تعليق أو اعتراض، وإنما كان يناقشها ويحللها ويعترض عليها، فتارة يتمسك بها ويدافع عنها بالأدلة العلمية ويتخذها مصدراً لنفسه، وتارة يبطلها ويجعلها فاسدة لرأيه، فمثلاً يقول: // ونسخة (تقدّمه) بالإضافة أولى من (تقدّم) بالماضي // (1)، ومثله كثير في الكتاب .

وكان الشيخ يستعمل أسلوب الحوار والنقاش والتعليل للمسائل في أثناء الشرح، ويتساءل ثم يجيب عما يسأل بطريقة جدلية قائلًا: كذا، قلت: كذا، أو لا يقال: كذا.. لأننا نقول: كذا..، واتباع هذا الأسلوب بكثرة لديه يلفت النظر إلى تعمق الشيخ في البحث، وإحاطته بالموضوع وقدرته على المناظرة، وهو طريق فذ وأسلوب ناجح يبين قدرة الباحث على الصعاب وتغلبه على المعضلات.

ونتيجة لهذا التفكير السليم، والعقل المتفتح، كان الشيخ يقرر الاختلاف بين الحنفية والشافعية بأكثر من وجه وبعناوين مختلفة (2)، ويفسر الآية الواحدة بأكثر من احتمال بقوله: // وفي الآية توجيه آخر، وبضيف بعض القيود إلى بعض التعاريف الأصولية أو الفقهية، كما فعل - مثلاً - في تعريف الحقيقة والمجاز، وقال: // لابد من إضافة أو قيد: // الحثيثة // (3)، وذلك لما يلاحظ بأنها غير مانعة وجامعة أو غير سليمة من الاعتراضات، فكان بذلك القيد صحيحاً سليماً من الانتقادات بعيداً عن الاعتراضات.

¹- ينظر: ص /334، 670، 882 ./

²- كما فعل مثلاً في ص /697./

³- ينظر: ص /470-471./

ولدقته في الموضوع واعتناؤه بالمسائل، فكان يقوم - أحياناً - بالتفريق بين المصطلحات العلمية التي قد تبدو متشابهة في الظاهر، متساوية في المعنى كتفريقه - مثلاً - بين الإباحة والرخصة⁽¹⁾، وبين الهزل والتلجئة⁽²⁾.

وأحياناً بالاعتراض على المصنّف النسفي وتقسيماته في كتاب // المنار // إذا لم يجد قولاً مستساغاً، أو دليلاً مقنعاً، أو رأى تقسيماً مضطرباً، ويعبر عن ذلك كله بقوله: // وفي هذا مسامحة.. //، أو // في هذا التقسيم مسامحة.. // ونحو ذلك، ولا يقول ذلك إلا إذا وجد خللاً في الفكرة، أو تقصيراً في الشرح، أو تضارباً في التقسيم⁽³⁾.

وبما أن الشارح ملاً جيّونُ حنفي المذهب فقد تأثر بمذهبه الفقهي وبشيوخه وآرائهم وأدلتهم، وتمثل بالموقف المدافع عن المذهب وبالحماسي عن مدرستهم واتجاهاتهم، وكان هذا الأثر واضحاً في منهجه وشرحه، بارزاً في فكره وعقله، جلياً في مؤلفاته واجتهاداته وإن وجدت عنده آراء اجتهادية ومواقف فريدة قد خالف فيها مذهبه الأم.

وهذا مجمل ما سار عليه الشيخ أحمد في الشرح وموجز ما ارتضاه في المنهج، فقد كان موفقاً - بشكل عام - في عرضه وطريقته، ناجحاً في أسلوبه واختياره، صائباً في اجتهاده وتأويله.

رابعاً - مصادر ملا جيّون :

اعتمد الشارح في شرحه على مجموعة من المصادر العلمية الأصلية، واستقى منها مادته الثقافية في مجالات متعددة، وموضوعات متنوعة، ودرسها ودقق النظر فيها واستفاد منها بحثاً ومناقشة، ونقداً واعتراضاً، وتحليلاً وتركيباً.

وكانت هذه المصادر المعتمدة متفاوتة النقول متباينة الرجوع بين إفراط وتفريط وإيجاز وإسهاب، تقررها حقيقة الموضوع وتحددها طبيعة المسائل، وتأثر الشارح بها وتأثيرها عليه، وإيكم الكتب التي صرح بها الشيخ أحمد في كتابه وذكرها واعتمد عليها بمسائلها المتعددة، مشفوعة بأرقام صفحاتها، مرتبة بموجب نقولاتها قلة أو كثرة:

1- أصول البزدوي/ لفخر الإسلام البزدوي:

نقل عنه في /21/ موضعاً، وكان هذا النقل متنوعاً، فتارة ينقل بلفظه وتارة بتصريف في عبارته، وأخرى دون الإشارة إليه، والغالب في هذه الأساليب واستعمالاتها هو أسلوب التصريف في العبارة الذي لا يخلو من دقة الاختيار وقوة البيان، وحسن المناقشة.

¹- ينظر: ص / 1358-1359/.

²- ينظر: ص /1324/ .

³- ينظر مثلاً: ص /255-256، 288، 292، 294/.

وكانت عباراته المعتادة قوله: // ذهب إليه فخر الإسلام، قال به فخر الإسلام، وهو ما اختاره البزدوي في أصوله....// ومن هذه المسائل التي نقلها عنه واستفاد منها - مثلاً - مسألة: معاني المحلى باللام⁽¹⁾، ومن معاني الحروف: الفاء للتعليل⁽²⁾، ومن أصول الشرع وأدلته القياس المستنبط⁽³⁾، ومسألة: المرسل هل يعد طعناً؟⁽⁴⁾ ومسألة: تقسيم الوصف إلى المفرد والعدد والجلي والخفي⁽⁵⁾ ومسألة: التشبيه بالعكس⁽⁶⁾.

2- شرح المنار / لابن ملك:

نقل عنه في/21/ موضعاً في موضوعات مختلفة، ومن الغريب أن الشيخ ملا جيون قد نقل عنه نصوصاً كثيرة دون الإشارة إليه بتاتاً لا بالتصريح ولا بالتعريض سوى تلميحات بعيدة قد يستفاد منها ذلك النقل باستعماله أحياناً بلفظ: قال بعض الشراح كذا، وابن ملك يكون أحد هؤلاء الشراح المعنيين بالمسألة، وقد بينت هذه الإحالات وأشرت إليها في حينها.

ومن تلك الموضوعات المنقولة غير المصرح بها - مثلاً- مسألة: سكوت المولى حين رأى عبده يبيع ويشترى⁽⁷⁾، ومسألة: قبول خبر الواحد بالإجماع⁽⁸⁾، ومسألة: نقل إجماع السلف وغيره⁽⁹⁾، ومسألة: أهلية الأداء⁽¹⁰⁾، ومسألة: الإعتاق إذا وقع على حق غريم أو وارث⁽¹¹⁾.

3- التفسيرات الأحمدية في بيان الأحكام الشرعية/ للشيخ ملا جيون:

نقل عنه في/17/ موضعاً في قضايا كثيرة، وكان صريحاً بنقله ويحيل القارئ إليه ويدله عليه، وإذا كان الموضوع المقرر بحثه مشتركاً بينه وبين //نور الأنوار// وأراد الباحث أن يتوسع في تلك القضايا ويستزيد منها، فيكتفي بالإحالة إليه دون الاسترسال فيه.

وكان بهذا الأسلوب يتحاشى عن الإطالة ويجتنب التكرار في المسألة الواحدة، ويكتفي بالإشارات الموجزة والعبارات المختصرة في شرحه على المنار حتى يشعر الباحث بالمتعة في النقل والأنس في الاختيار.

1- ينظر: ص / 413 .

2- ينظر: ص / 556 .

3- ينظر: ص / 149 .

4- ينظر: ص / 882 .

5- ينظر: ص / 1117 .

6- ينظر: ص / 1155 .

7- ينظر: ص / 949- 950 .

8- ينظر: ص / 798- 799 .

9- ينظر: ص / 1022- 1023 .

10- ينظر: ص / 1245- 1246 .

11- ينظر: ص / 1286- 1288 .

وكانت عباراته المتداولة:// قد ذكرتها في التفسيرات الأحمديّة بالبسط والتفصيل فطالعتها إن شئت، والبسط في التفسير الأحمدي، وقد فسرتة في التفسير الأحمدي بأطنب وجه وأشملة، فاكتتبنا كل ذلك في التفسير الأحمدي...// ونحو ذلك.

ومن تلك المسائل التي نقلها - مثلاً - مسألة: معاني القرء واختلاف الفقهاء فيها⁽¹⁾، ومسألة: تفسير قوله - تعالى - (فلا تحل له من بعد ...)، ومسألة: هل الكفار مخاطبون بالفروع؟⁽²⁾، ومسألة: معنى قوله - تعالى - (فأتوا حرثكم أنى شئتم) وتفسيره⁽³⁾، ومسألة: حكم خبر الواحد⁽⁴⁾، ومسألة: شروط الاجتهاد⁽⁵⁾.

4- التوضيح على التنقيح / لصدر الشريعة المحبوبي:

نقل عنه في/15/ موضعاً في مباحث متعددة، وكان صريحاً في نقله، فيوضح رأيه ويبين اجتهاده - سواء كان موافقاً أم مخالفاً - قائلاً:// كما في التوضيح، ما قاله صاحب التوضيح ... كما فعله في التوضيح، كذا في التوضيح، وتحقيق ذلك في التوضيح...//.

ومن هذه القضايا: مسألة: الصريح والكناية وهل هما من أقسام الحقيقة والمجاز؟⁽⁶⁾، ومسألة: حمل المطلق على المقيد⁽⁷⁾، ومسألة: الاستثناء من النفي إثبات ومن الإثبات نفي⁽⁸⁾، ومسألة: تقديم السنة القولية والفعلية⁽⁹⁾، ومسألة: تقسيم موانع الحكم مع وجود العلة⁽¹⁰⁾.

5- أصول السرخسي/ لشمس الأئمة السرخسي الحلواني:

نقل عنه في /7/ مواضع في مسائل متنوعة، كان ينقل عنه أحياناً بلفظه وأحياناً بتصريف منه، مستعيناً برأيه في بعض المسائل لتقوية مذهبه وترجيح قوله، معترضاً عليه في بعضها الآخر لبطان اجتهاده وضعف نظره، وكانت عباراته المستعملة:// لم يقيده شمس الأئمة، وهو مختار شمس الأئمة، وعند شمس الأئمة، قال شمس الأئمة...//.

ومن المسائل المنقولة - مثلاً - مسألة: تزويج الفضولي شخصاً⁽¹⁾، ومسألة:// أو// ومعانيها بأنها لأحد المذكورين⁽²⁾، ومسألة: تقليد التابعي⁽³⁾، ومسألة: رجوع شهود الإحصان بعد الرجم والضمان فيه⁽⁴⁾،

¹- ينظر : ص / 189-199 .

²- ينظر : ص/344 .

³- ينظر : ص / 373-374 .

⁴- ينظر : ص / 792 .

⁵- ينظر : ص / 1116 .

⁶- ينظر : ص / 367 .

⁷- ينظر : ص / 707 .

⁸- ينظر : ص / 942 .

⁹- ينظر : ص / 977 .

¹⁰- ينظر : ص / 1128 .

ومسألة: ما كان من غير حقوق الله وكان ضرراً محضاً⁽⁵⁾، ومسألة: الجنون ومتى يجب عليه الصوم⁽⁶⁾.

6- أصول الجصاص/ لأبي بكر الرازي الحنفي الجصاص:

نقل عنه في /3/ مواضع في مختلف القضايا، وكان هذا من أهم المصادر وأقدمها، وقد عُرف صاحبه بقوة ألفاظه ودقة معانيه، وشدة إتقانه، وكانت الألفاظ المتداولة للنقل هي: // وعند الجصاص..، وعند أبي بكر الرازي..، وهذا هو مختار الجصاص، وقال الجصاص...//.

وتلك الموضوعات هي مسألة: الحديث المشهور، ويرى بأنه قسم من المتواتر⁽⁷⁾، ومسألة: هل الإتيان بالمأمور به يوجب الإجزاء؟⁽⁸⁾، ومسألة: الأمر بالشيء هل يقتضي النهي عن ضده؟⁽⁹⁾.

7- التلويح على التوضيح/ للتفتازاني، سعد الدين:

نقل عنه في /3/ مواضع في مسائل متعددة، وكان يصرح بذكره كلما نقل عنه مسألة واعتمد عليه رأياً، قائلاً في هذا المنهج العبارات التالية: // هذا غاية ما قيل في التلويح...، وقال صاحب التلويح..، وتحقيق كل ذلك في التلويح.// وكان تارةً يورد النص كما هو وتارةً يتصرف فيه.

وهذه الموضوعات التي تعرض لها هي: مسألة: هل الكفار مخاطبون بالفروع؟⁽¹⁰⁾، ومسألة: حمل المطلق على المقيد⁽¹¹⁾، ومسألة: هل للمشترك عموم؟⁽¹²⁾.

8- كشف الأسرار على المنار/ للنسفي، أبي البركات، المصنّف صاحب المتن:

لقد نقل عنه في /2/ موضعين، ولم ينص على ما نقله ولو مرة -، ولم يحل القارئ إلى المصدر المنقول عنه، كما فعل مع المصادر الأخرى.

¹- ينظر : ص/547 .

²- ينظر : ص/569 .

³- ينظر : ص/1003 .

⁴- ينظر : ص/1235 .

⁵- ينظر : ص/1251 .

⁶- ينظر : ص/1263 .

⁷- ينظر : ص/789 .

⁸- ينظر : ص/311 .

⁹- ينظر : ص/728 .

¹⁰- ينظر : ص/345 .

¹¹- ينظر : ص/407 .

¹²- ينظر : ص/431 .

وكانبهذه الطريقة قد انتهج منهج ابن ملك في شرحه على المنار؛ حيث اعتمد عليه الشارح واتخذه مصدراً له دون تنقيح عليه ولا ذكر منه في قائمة المصادر، كما كان يتنوع فيها بالنقل الصريح تارةً، وبالتصرف اليسير تارةً أخرى.

وهذه المسائل هي: مسألة: إعلام قدر رأس المال في السلم⁽¹⁾، ومسألة: إثبات اسم الزنا للواطئة⁽²⁾.

9- الهداية شرح بداية المبتدي/ للمرغيناني:

نقل عنه في /3/ مواضع، لقد اعتمد عليه في مسائل الفروع ومعرفة أحكامها، باختلاف الفقهاء وآرائهم فيها، متبعاً في ذلك طريقة التصريح بالذكر كلما اقتضى منه النقل، ومستعملاً فيها عبارة: // كما قال صاحب الهداية...، وأما صاحب الهداية فقد...، كما هو دأب صاحب الهداية...// وكان ينقل النص بحروفه أحياناً، وبتصرف في أحيان أخرى.

وهذه الموضوعات المقررة هي: مسألة: جواز الوضوء من الجانب الآخر إذا ما تنجس موضع الوضوء⁽³⁾، ومسألة: غسل الرجل في مدة المسح⁽⁴⁾، ومسألة: الإيمان في رقبة كفارة اليمين والظهار⁽⁵⁾.

10- حاشية على نور الأنوار/ للشيخ أحمد ملا جيون:

نقل عنه في /3/ مواضع، ولم يشر إليها لا بالتصريح ولا بالكناية، وإنما اعتمد عليها في تفسير بعض المسامحات والعبارات الدقيقة التي تحتاج إلى التأمل فيها والنظر إليها، وإزالة بعض الشبهات التي قد علق بذهن القارئ حول تقسيم الحسن.

وكانت هذه المسائل في موضوع واحد، وهي مسألة: الحسن لمعنى في غيره وأنواعه⁽⁶⁾، ومسألة: الحسن لمعنى في غيره أيضاً⁽⁷⁾، وكذلك المسألة نفسها⁽⁸⁾.

11- المنتخب الحسامي في أصول الفقه/ لحسام الدين الأحمدي:

نقل عنه في /2/ موضعين: أحدهما في مسألة: ما جعل الوقت معياراً له ولم يجعل سبباً حول النذر المعين⁽¹⁾؛ حيث نقل عنه بالمعنى رأيه في هذه المسألة الفرعية بلفظ: // وصاحب المنتخب الحسامي //.

¹- ينظر : ص/ 997-998.

²- ينظر : ص/ 1051-1052.

³- ينظر : ص/ 687.

⁴- ينظر : ص/ 770.

⁵- ينظر : ص/ 1055.

⁶- ينظر : ص/ 291.

⁷- ينظر : ص/ 294.

⁸- ينظر : ص/ 294.

وثانيهما: في مسألة: حروف المعاني حيث ذكرها هو في خاتمة الكتاب خلافاً لبعض الأصوليين⁽²⁾، وعلق الشيخ ملا جيون على منهجه الذي اتبعه في تأليفه كتابه المذكور بلفظ: // وقد ذكر هذا البحث صاحب المنتخب الحسامي...//.

12- الزيادات في فروع الحنفية / لمحمد بن الحسن الشيباني:

استفاد منه مرتين وذكرهما، أحدهما: في مسألة: الفدية في قضاء الصلاة هل تكون مجزية؟⁽³⁾ ، فنقل عنه في تلك المسألة الفرعية، واعتمد عليه واستشهد به توضيحاً للفكرة وتأييداً للرأي. وكانت عبارته في ذلك: // قال محمد في الزيادات تجزيه...//.

وثانيهما: في مسألة: معاني: // حتى // وما يترتب عليها من الفروع؛ حيث أحال القارئ إلى الكتاب للمزيد عن المسائل الجزئية والوقوف عليها⁽⁴⁾ بلفظ: // الأمثلة المذكورة في الزيادات...//.

13- السير الكبير / لمحمد بن الحسن الشيباني:

نقل عنه في مكانين، أحدهما في مسألة: فوت صلاة العصر وقضائها⁽⁵⁾ بلفظ: // كما ذكر في كتاب : السير//.

وثانيهما: في مسألة: أمنوني على بني وله بنون وبنات، وهل الجمع المذكور يتناول الذكور والإناث عند الاختلاط؟⁽⁶⁾ ، وكانت عبارته المستعملة في ذلك // حتى قال في السير الكبير...//، فقد اكتفى هنا بعبارة المصنف وأقرها ثم شرحها كما هي.

14- الإتيان/ للسيوطي جلال الدين :

نقل عنه في موضع واحد، وهي مسألة: نسخ الحكم دون التلاوة حول الآيات المنسوخة حكماً⁽⁷⁾ بلفظ: // على رأي صاحب الإتيان//.

15- التقويم في أصول الفقه/ للقاضي أبي زيد الدبوسي:

نقل عنه في مكان واحد، وهو مسألة: قول الرجل لأمرأته الغير الموطوءة إن دخلت الدار فأنت طالق وطالق وطالق⁽¹⁾ بلفظ: // وقد قال... وصاحب التقويم إلى رجحان قولهما في وقوع الثلاث//.

1- ينظر : ص /335-336/.

2- ينظر : ص/538/.

3- ينظر : ص/270/.

4- ينظر : ص/596/.

5- ينظر : ص/304/.

6- ينظر : ص/641/.

7- ينظر : ص /973/.

16- حاشية التفسير الأحمدى/ للشيخ ملا جيون:

نقل عنه مرة واحدة، في مسألة: تفسير قوله - تعالى -: (محصنين غير مسافحين)⁽²⁾ ، وقال: // وفي هذا المقام اعتراضات دقيقة بينتها في حاشية التفسير الأحمدى//.

17- شرح العضد على مختصر ابن الحاجب/ للقاضي عضد الدين والملة:

نقل عنه في موضع واحد، وهو في مسألة: الجمع المضاف إلى جمع⁽³⁾ بالعبارة التالية: // ... على ما ذكر في العضدى//.

18- الكشف/ للزمخشري:

نقل عنه في مسألة واحدة، وهي: تفسير قوله - تعالى -: (ليس لك من الأمر شيء أويتوب عليهم أو يعذبهم)⁽⁴⁾ بلفظ: // وقد ذكر صاحب الكشف// بتصرف في النص.

19- المبسوط في فروع الحنفية/ للسرخسي، شمس الأئمة الحلواني:

نقل عنه في مكان واحد، وهو: قول الرجل لعبد ودابته: هذا حر أو هذا⁽⁵⁾ بعبارة: // .. على ما في المبسوط// وقد ذكر هذا في سياق اختلاف وقع في المسألة الفرعية السابقة.

20- المثنوي المعنوي/ للشيخ أحمد ملا جيون:

نقل عنه في موضع واحد في مسألة: التصديق، والصلاة، والزكاة.. هل يقبل السقوط؟⁽⁶⁾ فإنه تحدث عن هذه الفروع وبين أسبابها بإيجاز، ثم قال: // وقد بينت أنا أسرارها في المثنوي المعنوي//.

21- الفتاوى = الفتاوى الظهيرية/ لظهير الدين، محمد بن أحمد القاضي البخاري:

نقل عنه في مكان واحد في مسألة : حلف : لا يضع قدمه في دار فلان ؛ فإن لم تكن الدار سكنى هل يحنث أو لا⁽⁷⁾.

هذه تلك الكتب والمصادر التي سماها الشيخ ملا جيون في كتابه: // نور الأنوار// وصرح باسمها واستفاد منها وتذود بها، وقد تكون لديه مصادر أخرى اعتمد عليها في مادته العلمية ومسائله الفرعية

¹- ينظر : ص/543/.

²- ينظر : ص/207/.

³- ينظر : ص /725/ .

⁴- ينظر : ص/590/.

⁵- ينظر : ص/581/.

⁶- ينظر : ص/290/.

⁷- ينظر : ص /492/ .

وإن لم ينص عليها في شرحه، وذلك يظهر من خلال مناقشته لعلماء الأصول والفقه والكلام والحديث وانتقاد اجتهاداتهم والاعتراض على أقوالهم وأدلتهم مما يدل بأن الشيخ كانت لديه مجموعة أخرى من المراجع حتى تمكّن من ذلك كله والإحاطة بما تعرض له بالبحث والمناظرة.

وفضلاً عن هذا كان الشيخ ملاً جَيُّونَ يعتمد على آراء العلماء الأعلام الذين ورد ذكرهم في المصادر السابقة عند نقله عنها أو عن غيرها، وينقل أقوال بعض الفرق والمذاهب التي اطلع عليها إمّا بالقراءة من كتاب، أو بالسماع من أستاذ، أو نحو ذلك مما يدل على وجود مصادر أخرى غير مباشرة لدى الشارح.

ولتوضيح هؤلاء الأعلام وليبيان الفرق والمذاهب نستطيع أن نقسمهم إلى ثلاثة أقسام:

أ- الفقهاء والأصوليون: وهم الذين قد غلب عليهم طابع الفقه وأصوله وهم الأئمة الأربعة وتلاميذهم وأتباعهم، ويمكن أن تضاف إلى هذا القسم الظاهرية والشيعة وبعض الأئمة كانت لهم يد بيضاء في تاريخ الفكر الثقافي والفقه الإسلامي، كالأوزاعي .

ب - المتكلمون: وهم الذين اشتهروا في علم الكلام - غالباً - وهم: أبو الحسن الأشعري والماتريدي، والقاضي أبو بكر الباقلاني، والجبائي، وأبو عبد الله البصري.

ويمكن أن يضاف إليهم المصطلحات التالية:

المعتزلة، أهل السنة والجماعة، الدهرية، الخوارج، الشيعة، الأشاعرة، القدرية، المجسّمة، المشبهة، الروافض، الظاهرية.

ج - المحدثون: وهم الذين طغى عليهم الحديث وعُرفوا به أكثر من غيره، كالبخاري ومسلم وأصحاب السنن: أبي داود، والنسائي، والترمذي، وابن ماجه، وأصحاب المسانيد، كأحمد بن حنبل.

وبما أن الشيخ أحمد ملا جَيُّونَ في أثناء البحث يقوم بتعريف الحدود وتحديد مفرداتها لغة ثم اصطلاحاً، فإنه يدل دلالة واضحة على توفر بعض المعاجم اللغوية بين يديه وتناولها لاستخراج معاني الكلمات وشرح المفردات، وفكّ الرموز والمصطلحات ونحوها من الأمور الصعبة التي لا تتأتى إلا بالرجوع إلى تلك القواميس ليستوضح منها فهم الدلالات اللفظية واستنباط الأحكام الشرعية.

وكذلك عندما يتطرق الشيخ ملا جَيُّونَ إلى المسائل النحوية، والبلاغية، والمنطقية، وآداب المناظرات، ويقول فيها: قال النحويون كذا، ويُفَرِّع على أقوالهم مسائل فرعية، أو يقول: قال البلاغيون أو أهل البيان، أو قال أهل المنطق أو المنطقيون، أو قال أهل المناظرة كذا ويأتي إلى أقوالهم ويناقشها ويعترض عليها أحياناً ويؤيدها أحياناً آخر.

فاستعمال هذه المصطلحات العلمية ودلالاتها على أصحابها المتخصصين بشأنها في الأبواب المتعددة والفنون المختلفة يقتضي بأن الشيخ أحمد قد تحصّل على عدد آخر من الكتب المصنفة في القضايا المذكورة، واطلع عليها، ودقق النظر فيها بالتأمل الفاحص، والتفكير المتأنّي، والفكر الثاقب، حتى

استطاع أن يحيط بأطراف البحث الواسعة وبمسائله المترامية، وأن يتعمق في دلالات الموضوع العميقة ومعانيه الدقيقة.

خامساً - مزايا الكتاب وعيوبه :

لعلّ من تمام الفائدة وكمال النفع أن نبين مجموعة من الملاحظات، بعضها: يتعلق بالخصائص العلمية التي قد توفرت في هذا الكتاب ، وبعضها الآخر يتعلق بالمآخذ التي أخذت عليه.

القسم الأول: المميزات التي يتمتع بها هذا الكتاب

1- ظهور شخصية الشيخ ملا جيون العلمية:

كان الشيخ أحمد يتصف بشخصية علمية في كتابه:// نور الأنوار في شرح المنار//، ويظهر ذلك جلياً من خلال دراسته للمسائل الخلافية، وعرضه للأراء المتنوعة وانتقاده لها بالمناقشة البناءة والمنطق السليم، والرأي الناضج.

وعلى الرغم من أنه كان حنفي المذهب، فقد كان يتبني ما يراه راجحاً من الأقوال، ويختار ما هو الأقرب إلى الصواب والأوفق في الحكم دون أن يدركه التعصب المذهبي أو يؤثر فيه طغيان الجهل، أو ينأى به تعجب الرأي مما يدل على طول باعه في فهم المباحث واستنباط الأحكام وحسن التصوير وبراعة التحليل، وليس هذا بخافٍ على كلّ من طالع كتابه واستقصى مسائله، وتأمل قواعده ، وتعقب منهجه.

2- تمهيده للكتاب بمقدمة أصولية:

استهل الشيخ ملا جيون كتابه هذا بمقدمة علمية أصولية بديعة، جعلها مدخلاً للكتاب، ومنهجاً للفكر؛ إذ بين فيها منهجاً علمياً وخطة موضوعية، فبدأ ببيان سبب تأليفه للكتاب ثم ببيان مقدماته من حده وغاياته وموضوعه، وأراد أن يبين للقارئ بأن كل من حاول الخوض في أي علم من العلوم، فعليه أن يحيط علماً بمقدماته ومبادئه، ومما لا شك فيه بأن الإمام بهذه المبادئ والإحاطة بها - في أي فن من الفنون - يساعد على فهم المادة واستيعابها، ويجعله ملماً بمسائله ومفرداتها.

3- موضوعية الشيخ ملا جيون وحيدته لمخالفه:

اتصف الشيخ ملا جيون بالموضوعية والإنصاف والاتزان لخصمه يناقش المسائل بروح سامية، ويجادل الآخرين بأخلاق عالية، فيذكر رأي المخالفين له وأدلتهم واعتراضاتهم ويبين الدفاع عن وجهات نظرهم، بعيداً عن أسلوب القدح وعبرة الجرح، نزياً عن التحامل عليهم أو التقليل من شأنهم، ويتيح لهم الفرص المواتية للتعبير عن آرائهم وتقرير مسائلهم، إلا في موضعين، ففي أحدهما وصف الإمام

الشافعي بأنه جاهل، وذلك في مسألة حل متروك التسمية عامداً⁽¹⁾، وفي مسألة جواز القضاء بشاهد ويمين⁽²⁾، وثانيهما: نعت داود الظاهري بالجهل في مسألة بيع أمهات الأولاد⁽³⁾، وثالثهما: وصف المعتزلة بالجهل في مسألة: انكار النفقات وعذاب القبر والرؤية والشفاعة⁽⁴⁾.

4- شمولية الكتاب:

تميز الكتاب بعموميته لأقوال العلماء وآرائهم ومذاهبهم، فإن الشيخ ملاً جِبُونٌ قد جمع فيه طريقتي الفقهاء والمتكلمين الأصوليين - وإن كان مذهب الحنفية من المسائل العلمية أوفر حظاً ورأيهم أرجح قوياً لديه في معظم المسائل، وجعل منه أصولاً مقارناً تناول فيه مذاهب العلماء المتعددة، واختلافهم مع عرض أدلتهم ووجهات نظرهم، وسواء أكان هذا الاختلاف في الفروع أم في الأصول.

وبهذا يُعدّ من الكتب المميزة والشروح المفيدة في ضمن شروح المنار وحواشيه التي تُعنى بالمدرستين الأصوليتين، وتهتم بقواعدهما وفروعهما معاً.

5- اعتناؤه بالفروع الفقهية:

امتاز الكتاب ببناء الأمثلة الفقهية وفروعها على القواعد الأصولية، وهذا ما يفتقد إليه كثير من كتب الأصول - لاسيما كتب المتكلمين - في هذا الفن.

وهذا المنهج الذي سلك فيه الشيخ ملاً جِبُونٌ - تبعاً للمصنّف - وإن كان هو منهج السادة الحنفية وطريقتهم المعتادة في كتابة فنّ الأصول ومسائله، إلا أن لذكر هذه المسائل الجزئية والأمثلة المتفرعة والتوسع فيها بأقوالها وأدلتها قيمة علمية، ومكانة رفيعة، إذ بها يتضح المراد من السياق، ويستدرك المعنى من القواعد، وتبين الدلالة من الألفاظ.

6- أسلوبه الحوارية وقدرته العلمية عليه:

تميز الشيخ ملاً جِبُونٌ بأسلوب رائع، وعرض سليم، وحوار مثمر ظهرت ثمرته في الاستكثار من إثارة التساؤلات والإجابة عنها، في تصوير المسائل وتقريرها، وتحرير المباحث وتحليلها.

وكان هذا الأسلوب المتبع في جداله المنطقي، ونقاشه العلمي ما جعله متأهلاً لهذه الميزة وقادراً عليها هو أسلوب المستعمل بقوله: // فإن قلت كذا، قلت كذا، وإن قيل كذا، قلنا كذا أو جوابه كذا... //

وهذا الحوار صعب المنال عسير التحقيق لا يناله إلا من أوتي الفقه في المسائل والقدرة على التحقيق؛ لما فيه من إعمال الفكر وتدقيق النظر وبذل الجهد لفهم دقة المادة والوقوف عليها بأسرارها.

¹- ينظر : ص/1308/

²- ينظر : ص/1311/

³- ينظر : ص/1309/.

⁴- ينظر : ص /1307/.

7- حسن ترتيبه وتنسيق أبوابه:

ومن مميزاته التنظيمية أو الشكلية أنه كان يربط المسائل بعضها ببعض وينسق أبوابه ويهدّب أفكاره بحيث يشعر القارئ أنه أمام مجموعة متكاملة، فكل مسألة مرتبطة بالأخرى فكلما تنتهي فكرة تلاحقها أخرى مناسبة لها ولانقّة بها.

فكان كتابه بهذا الأسلوب سلس الأفكار، مترابط الموضوع، متناسق العناصر في الموضوعات كلها، سواء أكانت مسألة فقهية، أم قاعدة أصولية، أم ملاحظة عامة.

كما كان الشيخ حريصاً على اجتناب التكرار، والابتعاد عن الحشو، حتى لا يشعر الباحث بالملل ولا يحس بالكآبة.

8- اشتماله على مباحث أصيلة:

تميز الكتاب بوحدة الموضوع، وأصالة المصادر، فقد تناول فيه الشيخ ملاً جيّوناً المسائل الأصولية التي ترتبط ارتباطاً وثيقاً بمادة أصول الفقه وتخدم مادته وتراعي قواعده، وما يبني عليها من الفروع الفقهية التي تبين مرادها وتوضح أدلتها وفق دراسة منهجية موضوعية للمادة نفسها.

ولم يجنح الشيخ ملاً جيّوناً في هذا الشرح إلى مصادر ثانوية أو مباحث غريبة عن هذا الفن تنأى بدارسه عن المنال وتشطّبه المأل، كما هو حال بعضاً لأصوليين فيتوسّعون في بعض القضايا، كقضايا العقل والمنطق وعلم الكلام واللغة ومشتقاتها .. ونحو ذلك مما لا مدخل لها في الأصول إلا عَرَضاً ، ولا تأثير لها إلا نزرأ.

القسم الثاني : الأمور التي أخذت عليه

بعد أن تحدثت عن الخصائص العلمية التي قد توفرت في الكتاب وتميز بها ، فيجدر بي أن أسجل مجموعة من الملاحظات التي تجمعت لدي على الكتاب ؛ وإذ ما من كتاب إلا وفيه ماله وما عليه ما عدا كتاب الله عز وجل.

وهذه الملاحظات التي أخذت عليه بمجموعها، فهي في الواقع - وإن عُدت مأخذ - لا تقلل من قيمة الكتاب العلمية، ولا تحطّ من قدره، وهي تنقسم إلى قسمين: أخطاء لغوية أو نحوية سبقت الشيخ ملاً جيّوناً لنسيان أو سهو أو زلة قلم ونحوه ، أو أخطاء أسلوبية أو منهجية.

أما الأول:

1- من حالات " سواء " أن العطف بـ " أو " بعد أسلوب التسوية لا يصح عند النحاة إلا شاذاً؛ لأنها لا تقوم إلا باثنين فصاعداً، أو لأنها تقتضي الشيين و" أو " أحد الشيين أو الأشياء.

والشيخ ملاً جِيُونُ قد استعمل في الكتاب "أو" بعد "سواء" في بعض الأماكن، وهذا مما لا تجيزه العرب إلا نادراً ، وقد أشرت إلى ذلك في هامش التحقيق.

2- اعتاد الشيخ ملاً جِيُونُ أن يستعمل "هل" مع "أم"، وهذا الأسلوب لا يجوز عند العرب إلا شاذاً؛ لأن "هل" لا تستعمل مع "أم" إن كانت متصلة: إذ المتصلة ملازمة لهزمة الاستفهام.

وفي الأماكن التي استعملها الشيخ أحمد فهي متصلة، فكان عليه أن يقول: "أو" عوض "أم".

ولعل هذا الأسلوب والذي قبله كان خطأ شائعاً في عصره، والشيخ - تبعاً لما كان سائداً - استعمل ما كان قائماً في زمانه دون مراعاة القواعد النحوية فيه.

3- استعمل الشيخ أحمد كثيراً حرف "عَنْ" مكان "مِنْ" مع فعل "فَرَعَ" وعَدَّاه به حيث كان يقول: "ولما فرغت عن كذا"، ونحو ذلك، والصحيح أن فعل "فرغ" لا يتعدى به إلا إن تضمن معنى "من" وأوّل به وهذا بخلاف الأولى؛ لأن عدم التأويل أولى منه، ومن هنا كنت أشير إلى هذه الملاحظة اللغوية لأول مرة ثم تركتها غُفلة.

4- زيادة الباء بعد القول، نحو: قال المصنف بأن معناها كذا، وقال أبو حنيفة بأن المسألة كذا. والصواب عند النحاة: عدم زيادتها بعد القول، إلا أن نؤول الفعل بمعنى فعل لازم، نحو: اعتمد، وهذا تكلف وتأويل، وعدم التأويل هنا أولى من التأويل، والشارح ملاً جِيُونُ قد زاد الباء بعد القول الملحق بـ: "إن".

5- إدخال "أل" التعريف على "كل"، و"غير"، و"بعض" لا يجوز عند أغلب النحاة إلا شاذاً نظراً لعدم ورود شواهد على ذلك من كلام العرب، وهم ممن يحتج بهم، ولو كان جائزاً لوجدناه في شواهدهم.

والشيخ ملاً جِيُونُ أورد ذلك في كتابه معرفاً بـ: "أل" التعريف، وهذا مما يخالف رأي الجمهور، وقد أشرت إلى هذه الملاحظات النحوية كلها في هامش التحقيق في حينها⁽¹⁾.

6- فاته مراعاة بعض القواعد النحوية في التذكير والتأنيث، والضوابط الإملائية في الشكل والكتابة، كما كان أحياناً تأخذه الغفوة والنسيان في تحقيق إرجاع بعض الضمائر واستعمالاتها تذكيراً وتأنيثاً، وقد أشرت إلى هذا كله في مظانه تعليقاً وتعقيباً.

وأما الثاني:

1- النقل بلا تصريح:

¹- ينظر: ص/ 152-153-163.

لقد نقل الشيخ ملاً جيونُ نصوصاً كثيرة في موضوعات مختلفة، بعضها بنصها، وبعضها الآخر بتصريف يسير في العبارة دون الإشارة إلى ذلك، ومن تلك النصوص المنقولة:

ما نقله عن شرح المنار/ لابن ملك في/21/ موضعاً، ولم يشر إلى ذلك قط⁽¹⁾.

وما نقله عن كشف الأسرار/ للنسفي صاحب المتن في /2/ موضعين ولم يشر إلى المصدر المنقول عنه⁽²⁾. وقد أشرت إلى مظان هذه النقول كلها في هامش التحقيق في وقتها.

ومما لاشك فيه أن هذا العمل لدى علماء المناهج، غير مستحسن في مجال البحث والتأليف، وأنه يُعدّ مُخلاً للأمانة النقل ونقصاً في كتابة الموضوعات غير أنه من الممكن أن يلتبس له ما يبرّر فعله ويبين سببه من عدة وجوه، منها:

أ- أن ذلك النقل جاء نتيجة لكثرة مطالعته في تلك الكتب المنقول عنها حتى أوشك على الحفظ أو إتقانه، فأثبتها دون الإحالة إلى ذاك المصدر.

ب- أو كان لا يرى في ذلك عيباً ولا نقصاً لِمَا نقله من دون إسناد إلى قائله.

ومن المستبعد جداً بأن الشيخ ملاً جيونُ قد تعمد في إغفال ذكر هذه المصادر المنقول عنها ونسبتها إلى نفسه ما ليس له، فإن هذا يتنافى وما تُرجم عنه من الأخلاق السامية والسيرة الحميدة والسمعة الطيبة لدى العامة والخاصة.

2- عدم الدقة في نسبة الآراء إلى أصحابها:

لم يكن الشيخ ملاً جيونُ دقيقاً - أحياناً - في عزو بعض الآراء إلى أصحابها، فكان ينسب للواحد خلاف رأيه ويقول ما لم يقله⁽³⁾.

3- عدم تذييل النصوص المنقولة في الغالب بعبارات تفيد انتهاءها، نحو: انتهى، أو هذا كلامه، أو نقلته باختصار أو تصرف.

4- كان الشيخ ملاً جيونُ ينقل نصوصاً من الأحاديث النبوية أو الآثار، أو أقوال العلماء بالمعنى دون الإشارة إلى أنه نقلها بالمعنى أو بحروفها إلا نادراً، وهذا يتضح جلياً في أثناء تخريجي لكل نص من تلك النصوص في موضعه.

¹- ينظر : الصفحات التالية : /524، 745، 799، 822، 939، 949، 950، 1005، 1023، 1085، 1159، 1169، 1247، 1249، 1263، 1264، 1265، 1288، 1354، 1355/ .

²- ينظر : ص/998، 1052/ .

³- ينظر : ص451/ .

5- اقتصر الشارح في صيغة التصلية والتسليم على سيدنا محمد - صلى الله عليه وسلم - على قوله:// عليه السلام// كلما مرّ به اسم نبينا محمد - صلى الله عليه وسلم - إلا قليلاً، كما ورد في بعض النسخ المخطوطة والمطبوعة ، وهذا الأسلوب إن كان صادراً منه، فهو مكروه عند علماء الحديث، وقد بيّنته في موضعه في هامش التحقيق الذي قمت به ، وإن لم يكن منه فله ما يبزره.

6- اعتاد الشيخ ملا جيون أن يعبر عن الرأي المخالف للحنفية بقوله: وقال الشافعي، وعند الشافعي ويكون المراد حينئذ: آراء الأئمة الثلاثة الآخرين، وتارة يكون رأياً له، وتارة رأي أتباعه.

وهذا الأسلوب يحدث لبساً في الفهم وتردداً في الذاكرة بسبب ورود تلك الاحتمالات وعدم القطع فيها، فيقع القارئ حينئذ في موضع شك من هذه الآراء ، والتذبذب فيما بينها.

فهذه جملة من الأمور ذكرتها في هذا المبحث على سبيل المثال، وثمة أمور أخرى تركتها اختصاراً للموضوع ومراعاة للمنهج، فبإمكان القارئ - إن أراد المزيد - أن يعود إلى الكتاب ويطلع على دقائقه وينظر إلى أسرارها.

سادساً - آراء ملا جيون واعتراضاته على المصنف :

على الرغم من تأثر الشيخ ملا جيون الواضح بطائفة من الكتب الأصولية، كشرح المنار لابن ملك، وكشف الأسرار للمصنف النسفي، وأصول البزدوي وغيره، التي سبقت الإشارة إليها في مصادر الكتاب ونقده، وبجماعة من الشخصيات اللامعة، كالبزدوي وصدر الشريعة المحبوبي وابن ملك والسرخسي، إلا أنه لم يكن مانعاً من ظهور شخصيته العلمية، وبروز قدرته الفكرية، وتجلي براعته الفائقة في كثير من القضايا الأصولية والفقهية والمنطقية، وفي مجموعة من التفسيرات القرآنية والآراء الاجتهادية: من تصحيح للتعريف ومن مناقشة للمسائل، ومن اعتراض للأدلة، ومن نقد للآراء، ومن إبداع للأفكار.

وللوقوف على مكانته العلمية، ومواقفه الاجتهادية نذكر نماذج من آرائه الشخصية وترجيحاته الفكرية التي ظهرت في ذاك الشرح الذي هو من أهم أعماله العلمية في حياته الثقافية، وهي:

1- في مقدمة الكتاب لما تعرّض لتفسير الخلق وساق أقوالاً في الموضوع، ثم اختار الصواب منها بقوله:// والأصح: أن الخلق العظيم: هو السلوك إلى ما يرضى عنه الله والخلق جميعاً//⁽¹⁾.

2- ولما تحدث عن الأدلة المتفق عليها وهي: الكتاب والسنة والإجماع والقياس - وهي بمجملها أصول التشريع الإسلامي - اشترط في القياس: الاستنباط، فقال:// هو القياس المستنبط// أي: غير المنصوص عليه، وهو ما اختاره بعض الأئمة الحنفية، كالبزدوي والسرخسي والخبازي والأخسيكتي وغيرهم⁽²⁾.

¹- ينظر: ص/11/.

²- ينظر: ص/16/.

3- وقد استعمل النسفي في المنار لفظ: // كل // في تعريف // الخاص //، ولمدلوله كلام طويل عند أهل الاختصاص من النحويين والمناطقية والأصوليين وغيرهم، فالشيخ ملاً جِيُونُ أراد أن يبين المعنى المراد في التعريف السابق، فقال: // وأما ذكر كلمة // كل //، فإنه وإن كان مستكراً في التعريفات في اصطلاح المنطق، ولكن القصد ههنا لبيان الاضطراد والضبط وهو إنما يحصل بلفظ: // كل // (1).

4- ولقد علق على قول المصنّف (لازمه) (2) بقوله: // إن حمل على اللازم الأعم، فيكون هو أيضاً نفيّاً للترادف؛ لأن الملزوم لا يوجد بدون لازم، فلا يفهم نفي الاشتراك قط، فينبغي أن يحمل اللازم على اللازم المساوي؛ أي: لا يوجد المراد بدون الصيغة ولا الصيغة بدون المراد //.

5- وقد اعترض على النسفي في تقسيمه الوجوب لما تحدث عن النوع الثاني، وهو القضاء (3) عند قوله: (وقضاء: هو تسليم مثل الواجب به ...) قائلاً: // وكان ينبغي أن يقيد بقوله: // من عنده // ليخرج أداء ظهر اليوم قضاء عن أمسه؛ لأنه ليس من عنده، بل كلاهما لله تعالى // .

6- وعلق على تعريفه الحقيقة والمجاز عند المصنّف (4) بقوله: // ولكن لا بد في تعريف الحقيقة والمجاز كليهما من قيد: // حيثية //؛ من حيث إنه ما وُضِعَ له، أو غير ما وُضِعَ له؛ لئلا ينتقص التعريفان طرداً أو عكساً //.

7- ولم يسلم المصنّف في مسألة تقسيم الحسن والقبح وأمثله باجتهاده وتقسيماته وتفريعاته بقوله - معترضاً عليه - (5): // وفي هذا التقسيم وأمثله مسامحات؛ لأن الضمير (هو) راجع إلى الغير، وضمير (يكون) راجع إلى الأمور به، وفيه انتشار .. //، ثم قال (6) حول التقسيم السابق: // وهذا القسم ليس بقسم في الواقع، ولكنه شرط للأقسام الخمسة المتقدمة لعينه ولغيره؛ ولهذا لم يذكره الجمهور بعنوان التقسيم، وإنما ذكره فخر الإسلام مسامحة .. //.

8- وقد اختار في مسألة: العام القطعي الذي لحقه مخصص معلوم المراد أو مجهول المراد في ص/382 مذهب جمهور الحنفية، كاليزدي والسرخسي والدبوسي وصدر الشريعة وغيره، وهو الصحيح عندهم بقوله: // فالمختار أنه لا تبقى قطعيته، ولكن يجب العمل به، كما هو شأن سائر الدلائل الظنية من خبر الواحد والقياس //.

1- ينظر: ص/43.

2- ينظر: ص/93.

3- ينظر: ص/246.

4- ينظر: ص/470-471.

5- ينظر: ص/292.

6- ينظر: ص/293.

9- وردَ على المصنّف في تعريف الخفي لما قال: // بعارض غير الصيغة⁽¹⁾ // ورجح ما ذهب إليه السرخسي بقوله: // والأظهر أن يقول: // بعارض من غير الصيغة // كما في عبارة شمس الأئمة الحلواني // أي : بإضافة // من // إليه ، وعبر عن الرد بقوله // فيه مسامحة //.

10- وردَ على طائفة من الأصوليين والنحويين الذين يذهبون إلى أن // أو // موضوعة للشك، فقال⁽²⁾: // وهو ليس بسديد؛ لأن الشك ليس معنى مقصوداً للمتكلم قصد تفهيمه للمخاطب، وإنما يلزم الشك من محلّ الكلام، وهو الخبر المجهول؛ ولذا لزم منه التخيير في الإنشاء، ولو سلم أن الشك مقصود فقد وضع له لفظ: الشك //.

11- وتحدث عن حكم المتواتر الذي قد ورد في قول المصنّف (بأنه يوجب علم اليقين كالعيان علماً ضرورياً)، وهو المختار لديه قائلاً⁽³⁾: // لا كما يقول المعتزلة: إنه يوجب علم طمأنينة يرجح جانب الصدق ولا يفيد اليقين، ولا كما يقوله أقوام: إنه يوجب علماً استدلالياً ينشأ من ملاحظة المقدمات، لا ضرورياً، وذلك لأن وجود مكة وبغداد أوضح وأجلى من أن يقام عليه دليل يعترى الشك في إثباته، ويحتاج في دفعه إلى مقدمات غامضة ظنية //.

12- وفي مسألة: أقسام المعارضة الخالصة في علة الأصل⁽⁴⁾ تحدث عن أقسامها وانتقدها وناقشها ثم استدرك حديثه قائلاً: // وهذه الأقسام كلها باطلة، لأن الوصف الذي يدّعيه السائل لا ينافي الوصف الذي يدّعيه المعلّل؛ إذ الحكم يثبت بعلم شتى فإن لم يكن وصفه متعدياً ففساده ظاهر؛ لأنها لا تعلق لها بالمتنازع فيه، إلا أنها تفيد عدم تلك العلة فيه، وهو لا يوجب عدم الحكم //.

وهذه جملة من القضايا التي أبدى فيها الشيخ ملا جيون آراءه وترجيحاته، وأظهر فيها انتقاداته واعتراضاته، وما هي - في الواقع - إلا قلة من كثرة لا تخفى لمن استأنس بشرحه قريباً، وأزال به وحشة، وازداد به بصراً.

سابعا - مصطلحات ملا جيون في الكتاب :

وضع الشيخ ملا جيون لنفسه مجموعة من الرموز والمصطلحات - تبعاً في ذلك طريقة معظم المصنفين والباحثين - اصطلح عليها واختارها، طلباً للاختصار من جهة، وتجنباً للتكرار من جهة أخرى. ثم هذه المصطلحات واستعمالاتها قد تكون شائعة ومتداولة بين عامة الأصوليين ، وقد تكون خاصة تميز بها صاحبها دون غيره من العلماء جاءت نتيجة لاجتهاد منه ، أو المنهج ارتضاه مسلكاً له. ولاشك بأن لهذه الرموز موقعا في النفس وأهمية في البحث ، فيها تتضح الدلالات ، وتتحقق الأهداف ، وتفكّ الرموز، وتفسر الألفاظ. ونظراً لأهمية هذه الرموز والمصطلحات واستعمالاتها أذكر طائفة منها -

¹- ينظر: ص/451/.

²- ينظر : ص/570/.

³- ينظر : ص/786-787/.

⁴- ينظر : ص/1163-1164/.

وهي المختارة لدى الشيخ ملاً جِيُونُ والمتبعة في المنهج -، وأبين معنى كل مصطلح ومراده، ومن جملتها:

1- المتكلمون: وهم أصحاب إحدى المدرستين الأصوليتين، المؤلفّة من الأئمة الثلاثة: الشافعية، والمالكية، والحنابلة، ومن هذا حذوهم.

ولقد تميزت هذه المدرسة ببناء الفروع على القواعد، وعليها سلك معظم الأصوليين، كإمام الحرمين والغزالي والرازي والأمدي وأبي بكر الباقلاني وابن حاجب وغيرهم.

وكما يراد بالمتكلمين - أيضاً - لدى الشيخ ملاً جِيُونُ: الذين يتناولون علم العقيدة أو علم الكلام، وسياق الكلام عنده هو الذي يحدد الكلام المراد، ويعين المعنى المطلوب.

2- الفقهاء: وهم علماء الحنفية - في الغالب -، وأصحاب المدرسة الثانية ومن وافقهم في كتابة فنّ الأصول.

ومن جملة هؤلاء: أبو حنيفة وأبو يوسف ومحمد وابن أبي ليلى، وأبو بكر الرازي الجصاص، والكرخي، والبزدوي والسرخسي، والقاضي أبو زيد الدبوسي والنسفي وغيرهم.

ولقد تميزت هذه المدرسة ببناء القواعد على الفروع واستنباط الأصول من الجزئيات وعليها سارت الأئمة الحنفية في طريقهم الاجتهادية، ومدرستهم الفقهية.

3- المعتزلة: وهم أتباع واصل بن عطاء، وسمّوا بذلك لاعتزالهم حلقة الحسن البصري.

4- الجمهور: هم أغلب علماء الأصول وأكثرهم.

وقد يراد بهم الأكثرية في الفقه، أو علم الكلام، أو أي علم آخر.

5- الأشاعرة، أو الأشعرية: وهم أتباع أبي الحسن الأشعري، وهو أحد المذهبيين الكلاميين السنيين.

6-الماتريدية: وهم أتباع أبي منصور الماتريدي، وهو المذهب الكلامي السني الآخر.

7- الظاهرية، أو أهل الظاهر: وهم من يأخذون بظواهر النصوص، ويكتفون بها كداود الظاهري وابن حزم الأندلسي.

8- أهل السنة والجماعة: ويعرفون أيضاً بالجمهور، وهم جمهور المتكلمين الذين اتفقوا في القضايا العقيدية، فلا اختلاف بينهم في الأصول، وإنما اختلفوا في الفروع من الأحكام فيما لا تضليل فيه ولا تفسيق، وإنما يقال عنهم أهل السنة والجماعة: لتميزهم عن غيرهم من الفرق المنشقة، كالخوارج والمعتزلة وغيرهم.

- 9-الجبرية: هي فرقة من علماء الكلام تقول: إن العبد بمنزلة الجماد، لا إرادة له ولا اختيار.
- 10-الخوارج: وهم جماعة من المسلمين خرجوا على علي ومعاوية معاً، ورفضوا حكمهما.
- 11-الرافضة: وهم فرقة من الشيعة تقول: بتنصيب الخلافة لعلي، وبأن أكثر الصحابة قد ضلوا بعد وفاة النبي - صلى الله عليه وسلم -.
- 12- عبدة الشمس: هي طائفة من الوثنيين تعبد الشمس وتقدسها.
- 13-المحدثون: وهم الذين يتخصّصون في الحديث وعلومه، ويشتهرون به.
- 14-المتوقّفون: هم الذين يتوقّفون عن القول في المسائل والخوض فيها.
- 15-المشبهة : هي فرقة ضالة من المغالين، شبهوا الله بذات غيره، وصفاته بصفات غيره.
- 16-القدرية: هي فرقة من المعتزلة تقول : بحرية الإرادة وبقدرة العبد على الاختيار بحيث يعتبر العبد خالقاً لأفعاله.
- 17-المعطّلة: هي فرقة ملحدة تنكر الخالق والبعث والإعادة بعد الموت.
- 18-الإمام: يراد به: الإمام أبو حنيفة.
- 19- التلميذان: يراد بهما: أبو يوسف ومحمد بن الحسن الشيباني ، تلميذا الإمام أبي حنيفة.
- 20-الأئمة الثلاثة: الإمام أبو حنيفة وتلميذاه السابقان.
- 21- شمس الأئمة الحلواني: يطلق ويُراد به: شمس الأئمة السرخسي: أبو بكر محمد بن أبي سهل السرخسي، وقد يراد به: شمس الأئمة السرخسي: أبو محمد عبد العزيز بن أحمد الحلواني وهو شيخ السرخسي صاحب المبسوط.
- 22- فخر الإسلام: البزدوي.
- 23- المصنّف: يراد به: النسفي، أبو البركات، حافظ الدين.
- 24- شيخ الإسلام: يراد به: بكر حُوَاهِرُ زاده، أبو بكر محمد بن الحسين بن محمد بن الحسن.
- 25 صاحب المنتخب الحسامي: يراد به الأخسيكثي.

الخاتمة

يُعدّ شرح نور الأنوار للشيخ ملا جيون (ت 1130هـ) على المنار في الأصول لأبي البركات النسفي (710هـ) من أبرز شروحه في أصول الفقه الإسلامي، وأشملها نفعاً، وأعمقها مادة، وأعظمها فائدة؛ إذ سلك فيه شارحه المنهج المعتدل، والشرح المقبول، وجمع فيه عصارة شروح المنار وزبدة مصادرها، وخلاصة قضاياها. وبهذا الجهد المبذول، والشرح القيم، قد أضاف الشيخ ملا جيون إلى مكتبة العالم الإسلامي مادة غزيرة بالمباحث الأصولية، وفكرة نيرة في أصول الفكر الديني، تجلّى ذلك في مواقفه الاجتهادية، وبراعته الفائقة في كثير من القضايا العلمية في حياته الثقافية؛ حيث استدرّك ما فات المصنف من مسائل، وحقق فيه ما سبق من دلائل مما جعل الكتاب مميّزاً في أسلوبه، طريفاً في منهجه، موفقاً في عرضه، بديعاً في مفرداته.

هذا ولم يكتفِ الشيخ ملا جيون بسرد الشرح وسوق عناصره فحسب، وإنما كان يهتم فيه بعرض المذاهب المختلفة، وتحرير المسائل، وبيان محل النزاع، وإظهار ثمره الخلاف بين الأصوليين والفقهاء، والحرص على ربط الشرح بالمتن مع بيان رأيه في المسألة، وترجيحاً هو راجح في الموضوع. ونظراً لأهمية نور الأنوار ومكانتها العلمية في شبه القارة الهندية مازال يُدرّس في المعاهد الشرعية والمراكز الدينية، ويرى إقبال العلماء إليه واعتماد التلاميذ عليه، دراسة ونقداً، تحليلاً واستبطاً، قراءة ومطالعة. ولا غرابة في ذلك إذ كان شارحه الشيخ ملا جيون من كبار علماء الهند، ونابغاً من أجل رموزها بالدعوة والإرشاد، والتأليف والتدريس، كغيره من العلماء الذين ينتمون إلى تلك البقعة التي أنجبت أفاضل عرفوا بصفاء الذهن، وخصوبة الفكر، والإبداع العلمي، والإنتاج المعرفي، وكثرة التأليف. وعليه فإن هذا الشرح بالرغم من تطّبعه بطابع الاختصار والإيجاز، والسهولة والاعتدال يُعدّ أحد الشروح المهمة للمنار في المكتبة الأصولية ومصدراً من أهم مصادرها في الفكر الإسلامي.

KAYNAKÇA

Sâdık b. Hasan el-Kannûcî, *Ebcedu'l-ulûm*, thk. Abdulcebbar Zekkâr, Dâru'l-kutubi'l-ilmîyye, Dımaşk 1978.

Muhammed Alâuddîn b. Ali el-Heskifî, *Ifâdetu'l-envâr 'ala'l-menâr*, tlk. Muhammed Said el-Burhânî, 1413/1992.

Abdulhay Fahrudîn el-Hüsni, *el-Î'lâm bimen fî târihi'l-Hind mine'l-a'lâm*, Dâru İbn Hazm Beirut tsz.

Carl Brocelman, *Târîhu'l-edebî'l-'Arabî*, (trc. Komisyon), el-Hey'etu'l-Mısriyye el-âmmelil'kutub, 1995.

JOSR Kasım-2016 Cilt:8 Sayı:2 (16) (s. 962-991) JOSR November-2016 Volume:8 Issue: 2 (16)

Ahmed b. Ebî Said Molla Civen, *Tefsîrâtu Ahemediyye fî beyâni 'l-âyâti 'ş-Şeriyy ma 'atefrî 'âti 'l-mesâili 'l-fikhiyye*, tsh. Abdullatif Abdulkerim, el-Mektebetu'r-rahîmîyye, Hindistan 1414/1993.

Abdulhay el-Husnî, es-*Sekâfetu 'l-İslâmiyye fî 'l-Hind*, Mecma'u'l-luğati'l-'Arabiyye, Dimaşk 983.

Ebu'l-Hasan Ali el-Husnî en-Nedvî, *Ricâlu 'l-fikr ve 'd-daveti fî 'l-İslâm*, Dâru İbn Kesîr, Dimaşk 1428/2007.

Muhammed Yâsîn Mazhar Sadîkî-Kasım es-Sâmîrrâî, *Fehresu 'l-mahtûtâti 'l-'Arabiyye bi Câmi 'ati 'Alîkerati 'l-İslâmiyye*, Müessesetu'l-furkân li't-turâsi'l-İslâmî, Londra 2002.

Fehresu 'l-mahtûtâti 'l-'Arabiyye bi mektebeti 'l-mektebi 'l-Hind, Yeni Delhî, (Hindistan'daki fihrist ve yazma kataloğunun içinde)

İbrâhim Sâlim eş-Şerîf, *Fehresu 'l-mahtûtâti 'l-Külliyeti 't-da 'vati 'l-İslâmiyye*, Trablus 1988.

Muhammed b. Abdulhalim b. Mevlâna Muhamed Emînullah, *Kamaru 'l-akmâr 'ala Nûri 'l-envâr 'ala 'l-menâr/Hâşiyetu 'l-Leknevî 'ala Nûri 'l-envârli 'l-Leknevî el-Ensârî*, nşr. Yâsir Nedîm Enîd Kümeynî, tsz.

Ebû Abdullah Ahmed b. Muhammed b. Hanbel, *el-Müsned*, thk. Ahmed Muhammed Şâkir-Hamza Ahmed ez-Zîn, Dâru'l-hadîs, Kahire 1416/1995.

Ebû Hasan Ali el-Hüsî en-Nedvî, *el-Müslimûn fî 'l-Hind*, Dâru İbn Kesîr, 1420/1999,

Ömer Rıza Kehhâle, *Mu 'cemu 'l-müellifîn*, Beyrut, Dâru ihyâi't-turâsi'l-'Arabî, tsz.

Yusuf İlyân Serkîs, *Mu 'cemu 'l-matbû 'âti 'l-'Arabiyyeve 'l-mu 'raba*, Mektebetu's-sakafeti'd-diniyye, Kahire 1932.

Ahmed b. Ebî Said b. Ubeydullah ed-Dehlevî, *Nûru 'l-envâr fî şerhi 'l-Menâr li Molla Civen*, thk. Muhammed Na'sân, Basılmamış Doktora Tezi, Ma'hadu'd-daveti'l-Câmi'Î, Beyrut, 2009.

İsmail Paşa el-Bağdadî, *Hediyyetu 'l-'arifîn*, Vekâletu'l-me'ârif İstanbul-Tasvîru'l-mektebeti'l-mesennâ Bağdat, 1951.